

ولاية الأمر دراسة فقهية مقارنة

الظَّالِمَةَ تَأْمَنُونَ، كُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ كُمْ بِالْهُيِّ
وَالْتَّيَّاهِي وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، وَأَنْتُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ مُصِيبَةً لِمَا
غَلَبَتْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ لَوْ كُنْتُمْ تَسْمَعُونَ. ذَلِكَ بَأَنِّ
مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِالْأُمْنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ
وَحَرَامِهِ، فَأَنْتُمْ الْمَسْلُوبُونَ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ، وَمَا سَلَبَتْكُمْ ذَلِكَ إِلَّا
بِتَغَرُّقِكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَاخْتِلَافِكُمْ فِي السُّنَّةِ بِعَدَدِ الْبَيِّنَاتِ
الْوَاضِحَةِ، وَلَوْ صَبَرْتُمْ عَلَى الْأَذَى، وَتَحَمَّلْتُمْ الْمَوْؤُونَةَ فِي ذَاتِ الْإِ
كَانَتْ أُمُورُ الْإِ عَلَيْهِ كُمْ تَرَدُّدًا، وَعَنْ كُمْ تَصَدُّرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ،
وَلَكِنَّكُمْ مَكَّنْتُمْ الظَّالِمَةَ مِنْ مَنَزِلَتِكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ الْإِ فِي
أَيْدِيهِمْ، يَعْزَمُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، سَلَطَهُمْ عَلَى ذَلِكَ
فِرَارُكُمْ مِنَ الْإِمْوَآتِ، وَإِعْجَابُكُمْ بِالْحَيَاةِ الَّتِي هِيَ مُفَارِقَتُكُمْ،
فَأَسْلَمْتُمْ الضُّعْفَاءَ فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْ بَيْنِ مُسْتَعْبِدِ مَقْهُورٍ، وَبَيْنِ
مُسْتَضْعَفٍ عَلَى مَعِيشَتِهِ مَغْلُوبٍ، يَتَقَلَّبُونَ فِي الْمُلْكِ بَأْرَائِهِمْ،
وَيَسْتَشْعِرُونَ الْخِزْيَ بِأَهْوَائِهِمْ، ارْتِدَاءً بِالْأَشْرَارِ، وَجُرْأَةً عَلَى
الْجَبَّارِ، فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مِنْبَرِهِ خَطِيبٌ مُصَفَّعٌ، وَالْأَرْضُ لَهُمْ
شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيهِمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَالنَّاسُ لَهُمْ خَوْلٌ لَا يَدْفَعُونَ يَدَ
لَا مِسٍّ، فَمِنْ بَيْنِ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَذِي سَطْوَةٍ عَلَى الضُّعْفَةِ شَدِيدٍ، مُطَاعٍ لَا
يَعْرِفُ الْمُبْدِيَّةَ وَالْمُعَيَّدَ. فَيَا عَجَبًا، وَمَالِي لَا أَعْجَبُ وَالْأَرْضُ مِنْ
غَاشٍ غَشُومٍ وَمُتَمَدِّقٍ طَلُومٍ، وَعَامِلٌ عَلَى الْإِمْؤُومِينَ بِهِمْ غَيْرُ رَحِيمٍ،
فَالْإِ الْحَاكِمُ فِيمَا تَنَازَعْنَا، وَالْقَاضِي بِحُكْمِهِ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَنَا.
اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنََّّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْ تَنَافُسٍ فِي سُلْطَانٍ، وَلَا
الِتِمَاسٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرَى الْعَمَّالِمَ مِنْ دِينِكَ،
وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَطْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ
بِفَرَائِضِكَ وَسُنَّتِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنَّكُمْ إِلَّا تَنْصُرُونَا وَتَنْصِفُونَا قَوِي
الظَّالِمَةَ عَلَيْهِ كُمْ، وَعَمِلُوا فِي إِطْفَاءِ نُورِ نَبِيِّكُمْ، وَحَسْبُنَا
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا، وَإِلَيْهِ أُنَبِّئْنَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» [458].